

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوائد مختارة

من كتاب

الفرقان بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لابن تيمية (ت / ٥٧٢٨) .

بقلم

سليمان بن محمد اللهيبيد

السعودية - رفحاء

الموقع على الإنترنت - مجلة رياض المتقين

www.almotageen.net

١- فَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . هُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . (٥) .

٢- وَ (الْوَلَايَةُ) ضِدُّ الْعَدَاوَةِ ، وَأَصْلُ الْوَلَايَةِ الْمَحَبَّةُ وَالْقُرْبُ ، وَأَصْلُ الْعَدَاوَةِ الْبُغْضُ وَالْبُعْدُ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الْوَلِيَّ سُمِّيَ وَليًّا مِنْ مَوْلَانِهِ لِلطَّاعَاتِ أَيِّ مُتَابَعَتِهِ هَا وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ . (٧) .

٣- وَفَضَائِلُهُ ﷺ وَفَضَائِلُ أُمَّتِهِ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْ حِينِ بَعَثَهُ اللَّهُ جَعَلَهُ اللَّهُ الْفَارِقَ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ ، لَا وَلِيَّ لِلَّهِ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ ﷺ ، وَمِمَّا جَاءَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، فَلَا يَكُونُ وَليًّا لِلَّهِ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِمَّا جَاءَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَمَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَوَلَايَتَهُ وَهُوَ لَمْ يَتَّبِعْهُ فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ . (٩) .

٤- وَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُمُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ، فَيَحْسَبُ إِيمَانِ الْعَبْدِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ وَلايَتَهُ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَمَنْ كَانَ أَكْمَلَ إِيمَانًا وَتَقْوَى ، كَانَ أَكْمَلَ وَلايَةً لِلَّهِ ، فَالنَّاسُ مُتَفَاوِلُونَ فِي وَلايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَسَبِ تَفَاضُلِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى . (١٩) .

٥- وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَلَى طَبَقَتَيْنِ سَابِقُونَ مُقَرَّبُونَ وَأَصْحَابُ يَمِينٍ مُفْتَصِدُونَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي عِدَّةٍ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ . (٢٠) .

٦- وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَوْعَيْنِ : مُقَرَّبُونَ وَأَصْحَابُ يَمِينٍ كَمَا تَقَدَّمَ . وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَمَلَ التَّسْمِينِ فِي حَدِيثِ الْأَوْلِيَاءِ فَقَالَ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أُعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدْتَهُ) .

فَالْأَبْرَارُ أَصْحَابُ الْيَمِينِ هُمُ الْمُتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالْفَرَائِضِ يَفْعَلُونَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَتَزَكَّوْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَا يُكَلِّفُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُنْدُوبَاتِ ؛ وَلَا الْكَفِّ عَنْ فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ .

وَأَمَّا السَّابِقُونَ الْمُقَرَّبُونَ فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ ، فَفَعَلُوا الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَاتِ وَتَرَكَوا الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ ، فَلَمَّا تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبُوبَاتِهِمْ أَحَبَّهُمُ الرَّبُّ حُبًّا تَامًا . (٢٣) .

٧- وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورُ - وَقَدْ تَقَدَّمَ - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ (وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ) وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا تَقِيًّا حَتَّى يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ فَيَكُونُ مِنَ الْأَبْرَارِ أَهْلِ الْيَمِينِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى يَكُونَ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ . (٣١) .

٨- وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ قَالَ : أَتَقَاهُمْ . فَدَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ .

وَفِي السُّنَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ (لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَبْيَضٍ وَلَا لِأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى . كُلُّكُمْ لِأَدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ) .

وَعَنْهُ أَيْضًا ﷺ أَنَّهُ قَالَ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبَيْةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَحَىٰ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لِيَدَعَنَّ رِجَالَ فِخْرِهِمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّثْنَ) . (٣٥) .

٩- وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي يَرَوِيهِ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ (رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْعَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ) فَلَا أَصْلَ لَهُ، وَمَنْ يَرَوِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَفْعَالِهِ، وَجِهَادِ الْكُفَّارِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْإِنْسَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) (٣٧) .

١٠- وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ وَلِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا لَا يَغْلُطُ وَلَا يُخْطِئُ . (٤١) .

١١- وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ أَنْفَعُوا مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا، وَالْمُرَادُ بِالْفَتْحِ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَإِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ فَتْحٍ مَكَّةَ وَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا) . (٦٠) .

١٢- وَكَانَ مِنْ أَوَّلِ مَا ظَهَرَ مِنْ هَذِهِ فِي الْإِسْلَامِ : الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّ فِي تَقْيِيفِ كَذَابًا وَمُبِيرًا) . وَكَانَ الْكَذَابُ : الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَالْمُبِيرُ : الْحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ .

فَقِيلَ لِابْنِ عُثْمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّ الْمُخْتَارَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَزِلُ إِلَيْهِ فَقَالَا : صَدَقَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ . نَزَّلُوا عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) . (٧٣) .

١٣- وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الدُّنُوبَ لَا تَضُرُّ مَنْ أَصَرَ عَلَيْهَا، فَهُوَ ضَالٌّ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَالْأُمَّةِ . (٨٧) .

١٤- وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ " الْقَدَرَ " حُجَّةٌ لِأَهْلِ الدُّنُوبِ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَادًّا عَلَيْهِمْ (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَاوُوا بِأَسْنَانِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) .

وَلَوْ كَانَ " الْقَدَرُ " حُجَّةً لِأَحَدٍ لَمْ يُعَذِّبِ اللَّهُ الْمُكذِّبِينَ لِلرُّسُلِ، كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ . (٨٧) .

١٥- وَلَا يَحْتَجُّ أَحَدٌ بِالْقَدْرِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ رَأَى الْقَدَرَ حُجَّةً لِأَهْلِ الدُّنُوبِ يَرْفَعُ عَنْهُمْ الذَّمَّ وَالْعِقَابَ فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَدْمَ أَحَدًا وَلَا يُعَاقِبَهُ إِذَا اعْتَدَى عَلَيْهِ . (٨٨) .

١٦- وَالْمُؤْمِنُ مَا مُمَرٌّ عِنْدَ الْمَصَائِبِ أَنْ يَصْبِرَ وَيُسَلِّمَ، وَعِنْدَ الدُّنُوبِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيُثُوبَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) فَأَمْرُهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الْمَعَائِبِ . (٨٩) .

١٧- وَ (الصَّبْرُ) وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ ، وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ الرِّضَا بِحُكْمِ اللَّهِ ، وَ (الرِّضَا) قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ وَاجِبٌ وَقِيلَ : هُوَ مُسْتَحَبٌّ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهُ عَلَى الْمُصِيبَةِ لِمَا يَرَى مِنْ إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَا حَيْثُ جَعَلَهَا سَبَبًا لِتَكْفِيرِ خَطَايَاهُ وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِ وَإِنَابَتِهِ وَتَضَرُّعِهِ إِلَيْهِ وَإِخْلَاصِهِ لَهُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَرَجَائِهِ دُونَ الْمَخْلُوقِينَ . (٩٠) .

١٨- وَمَنْ أَعْظَمَ مَا يَقْوِي الْأَحْوَالَ الشَّيْطَانِيَّةَ سَمَاعُ الْغِنَاءِ وَالْمَلَاهِي، وَهُوَ سَمَاعُ الْمُشْرِكِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَبْرُهُمَا مِنَ السَّلَفِ التَّصْفِيقُ بِالْيَدِ ، وَ الْمُكَاءُ مِثْلُ الصَّغِيرِ ، فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَتَّخِذُونَ هَذَا عِبَادَةً ، وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَعِبَادَتُهُمْ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . (١٢١) .

١٩- وَإِنَّمَا غَايَةُ الْكِرَامَةِ لُزُومُ الْإِسْتِقَامَةِ ، فَلَمْ يُكْرِمِ اللَّهُ عَبْدًا مِمَّنْ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَيَزِيدُهُ مِمَّا يُعْرِضُهُ إِلَيْهِ وَيَرْفَعُ بِهِ دَرَجَتَهُ . (١٢٤) .

بقلم

أخوكم / سليمان بن محمد اللهيبيد

السعودية - رفحاء